

تفسير البحر المحيط

@ 216 \$ 1 (سورة الحديد) \$ 1 .

2) .

{ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
* لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ * هُوَ الْوَلِيُّ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ } . .

قال النقاش وغيره : هذه السورة مدنية بإجماع من المفسرين . وقال غيره ، كالزمخشري :
هي مكية . وقال ابن عطية : لا خلاف ، إن فيها قرآناً مدنياً ، لكن يشبه صدرها أن يكون
مكياً . .

ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة ، لأنه تعالى أمر بالتسبيح ، ثم أخبر أن
التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كل من في السموات والأرض ، وأتى سبح بلفظ الماضي ،
ويسبح بلفظ المضارع ، وكله يدل على الديمومة والاستمرار ، وإن ذلك ديدن من في السموات
والأرض . والتسبيح هنا عند الأكثرين بمعنى التنزيه المعروف في قولهم : سبحان الله ، فقليل :
هو حقيقة في الجميع ، وقيل : فيمن يمكن التسبيح منهم ، وقيل : مجاز ، بمعنى : أن أثر
الصنعة فيها ينبه الرائي على التسبيح . وقيل : التسبيح هنا الصلاة ، ففي الجماد بعيد ،
وفي الكافر سجود ظلّه صلاته ، وفي المؤمن ذلك سائغ ، واللام في { لِلَّهِ } ، إما أن تكون
بمنزلة اللام في : نصحت لزيد ، يقال : سبح الله ، كما يقال : نصحت زيدا ، فجاء باللام
لتقوية وصول الفعل إلى المفعول ؛ وإما أن تكون لام التعليل ، أي أحدث التسبيح لأجل الله ،
أي لوجهه خالصاً . .

{ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } : جملة مستقلة لا موضع لها من الإعراب لقوله : { لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } . لما أخبر بأنه له الملك ، أخبر عن ذاته بهذين الوصفين
العظيمين اللذين بهما تمام التصرف في الملك ، وهو إيجاد ما شاء وإعدام ما شاء ، ولذلك
أعقب بالقدرة التي بها الإحياء والإماتة . وجوز أن يكون خبر مبتدأ ، أي هو يحيي ويميت .
وأن يكون حالاً ، وذو الحال الضمير في له ، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور . {
هُوَ الْوَلِيُّ وَالْآخِرُ } : الذي ليس لوجوده بداية مفتوحة ، { وَالْآخِرُ } : أي الدائم الذي ليس

له نهاية منقضية . وقيل : الأول الذي كان قبل كل شيء ، والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء
{ وَالظَّاهِرُ } بالأدلة ونظر العقول في صفته ، { وَالْبَاطِنُ } لكونه غير مدرك
بالحواس . وقال أبو بكر الورّاق : الأول بالأزلية ، والآخر بالأبدية . وقيل : { * الظاهر }
العالي على كل شيء ، الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه ؛ { وَالظَّاهِرُ }
{ وَالْبَاطِنُ } : الذي بطن كل شيء ، أي علم باطنه . وقال الزمخشري : فإن قلت : فما
معنى الواو ؟ قلت : الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين